الفصل الثاني :

تفسير السلوك الإجرامي

- مفهوم الجريمة وخصائصها الاجتماعية .
- الجريمة سلوك له دوافعه وأسبابه .
- الجرائم والانحرافات الجنسية ذات الطابع النفسي .
- مفهوم التحليل النفسي Psychoanalysis .
- سلوك الإنسان والغرائز .
- الغريزة Instinct .
- مكونات الشخصية في الفكر التحليلي .
- تقويم وجهة النظر التحليلية في تفسير الجريمة .
- التوصيات .

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني :

تفسير السلوك الإجرامي

مقدمة :

يتناول هذا البحث شرح مفهوم الجريمة وخصائصها القانونية والاجتماعية ، ويستعرض عرضًا نقديًا تفسير مدرسة التحليل النفسي للسلوك الإجرامي أو للجريمة ، مع بيان مفهوم التحليل النفسي ونظريته في تكوين شخصية الإنسان ، وعناصر هذه الشخصية ودور الغرائز في السلوك الإجرامي والعدواني وخاصة غريزة الموت أو التدمير أو العدوان ، والتي تقابل ، في الفكر التحليلي غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية ، كما توضح الدراسة دور حيل الدفاع اللاشعورية في السلوك الإجرامي . وتوصى الدراسة بأن يؤخذ في الاعتبار العوامل والدوافع اللاشعورية في تفسير الجريمة وفي الحكم على المتهم كما ينبغي أن تراعى هذه العوامل اللاشعورية في جهود مكافحة الجريمة والحد من انتشارها على اعتبار أن المسئول عنها ليست فقط العوامل الشعورية وإنما أيضًا العوامل اللاشعورية .

The Psychoanalytical explanations of criminal behaviour

What are the psychoanalytical explanations or interpretations of crimes and criminal behaviour? The psychoanalytical school has contributed to the criminal field . And this study aims at examining the contribution of the school of psychoanalysis in the interpretations of crimes . It is shown that crimes could be due to unconscious motivations or unconscious conflicts . Maternal deprivations during early childhood could be one of the various causes of crimes . It is shown here that the process of socialization can play a positive or a negative role in committing crimes .

obeikan.com

Death instinct could provide strong motives for commetting crimes . Psychological principles could be applied to crimes . There are many variables which could be associated with various types of crimes .

أهداف الدراسة

استهدفت هذه الدراسة ، المتواضعة ، إلقاء الضوء على الموضوعات والمسائل الآتية :

1) مفهوم الجريمة وخصائصها القانونية والاجتماعية والأخلاقية .
2) إبراز أثر العوامل النفسية ليس فقط الشعورية ، ولكن أيضًا العوامل اللاشعورية وإبراز تأثيرها على الجريمة أو السلوك الإجرامي .
3) إلقاء الضوء على الجرائم والانحرافات الجنسية ذات الطابع النفسي .
4) عرض مفهوم التحليل النفسي أو آراء مدرسة التحليل النفسي عرضًا نقديًا في ضوء الأسس العلمية والمنهجية الحديثة .
5) شرح مكونات أو عناصر الشخصية الإنسانية في إطار نظريات مدرسة التحليل النفسي .
6) بيان المقصود بالغرائز وأنواعها ومدى إسهامها في ارتكاب الجرائم وخصائص غريزة الموت عند فرويد وغريزة المقاتلة عند وليم مكدوجل .
7) استعراض النظريات السيكولوجية المختلفة والتي وضعت لتفسير السلوك الإجرامي .
8) إلقاء الضوء على اللاشعور ومحتوياته ، وخاصة حيل الدفاع اللاشعورية أو العمليات العقلية اللاشعورية .
9) إبراز الدور المسئولة عنه الذات الدنيا في حدوث الجريمة والسلوك الإجرامي ودور الذات العليا في كبح جماح الذات الدنيا التي تستهدف اللذة والشهوة والمتعة .
10) التعرف على أثر كل من الذكاء والضعف العقلي في السلوك الإجرامي .
11) النقد الذي يوجه إلى آراء مدرسة التحليل النفسي في تفسير الجريمة .
12) إبراز أهمية عملية التنشئة الاجتماعية في حماية الفرد من الجريمة والجنوح والتطرف والانحراف ، ومن الإصابة بالأمراض العقلية والنفسية والجسمية والسيكوسوماتية .

مفهوم الجريمة وخصائصها القانونية والاجتماعية :

يستهدف علم الإجرام تفسير السلوك الإجرامي ومعرفة دوافعه من ناحية ، وفحص شخصية المجرم ومعرفة سماته وصفاته وخصائصه وقدراته وأمراضه وانحرافاته وكذلك تصنيف المجرمين ، وذلك لافتراض أفضل سبل العقاب وذلك لإعادة تأهيلهم ليعودوا أعضاء صالحين في المجتمع . من ناحية أخرى ، فعلم الإجرام يدرس الجريمة ويفسرها كما يدرس شخصية المجرم ويضع أسس العقوبة المناسبة .

وعلم الإجرام ينصب أساسًا على الجريمة باعتبارها غير مقبولة من المجتمع ، تقتضى ضرورة مواجهتها والحد منها وإصلاح ما ينجم عنها من أضرار ، فالجريمة ظاهرة مرفوضة من قبل المجتمع .

ومفهوم الجريمة بوجه عام يتناوله بالتفسير علماء كثيرون ، من تخصصات عدة منها : القانون وعلم الاجتماع وعلم النفس والتربية والطب ، ويختلف تعريف الجريمة باختلاف التخصصات التي تتولى دراستها .

والجريمة ظاهرة قديمة قِدم الإنسان ذاته ، فمنذ أن خُلق الإنسان والجريمة شائعة بين الأفراد على اختلاف دياناتهم وألوانهم وحضارتهم ، والجريمة كانت موجودة في عصور ما قبل التاريخ ، فالإنسان يعيش في صراع مع الآخرين وذلك منذ أقدم العصور .

ومفهوم الجريمة يتضمن نمطًا معينًا أو أنماطًا معينة من سلوك الإنسان ، وهى قانونًا أنماط من السلوك يجرمها قانون العقوبات وتستوجب العقوبة باسم الدولة وذلك بعد المحاكمة وثبوت الإدانة . ولذلك يقال إنه لا جريمة بلا نص .

يرى علماء الاجتماع الجنائي أن الجريمة ظاهرة طبيعية وليست شاذة ، كما أنها ظاهرة اجتماعية يتغير مفهومها من وقت لآخر ومن مجتمع لآخر ، لأن المجتمعات تختلف أجهزتها وحضارتها بعضها عن بعض وكذلك بمرور الزمن ، وفي المجتمع الواحد تتغير القيم الاجتماعية والاتجاهات السائدة فيه ، ويتأثر بعوامل التحول والتنمية الاجتماعية والعوامل الأخرى التي تمس جوهر العلاقات الاجتماعية فما يعد جريمة في مجتمع ما قد يعد سلوكًا سويًا في مجتمع آخر بل حتى في نفس المجتمع ولكن في حقبة زمنية أخرى .

المعنى القانوني للجريمة :

يعتبر الجريمة كفكرة قانونية مجردة منصوص عليها في القانون ، بأكثر من كونها سلوكًا واقعيًا صادر عن فرد من آحاد الناس أو مجموعة من الأفراد .

ووفقًا للتعريف القانوني للجريمة فهي : « الفعل الذي يقع بالمخالفة لقانون العقوبات » .

وهناك تعريف قانوني آخر يرى أنها : « فعل غير مشروع صادر عن إدارة جنائية يقرر له القانون عقوبة أو تدبيرًا احترازيًا » .

وفي تعريف أكثر تفصيلًا : « إن الجريمة هي كل عمل أو امتناع يحرمه النظام القانوني ويقرر له جزءا جنائيًا هو العقوبة ، توقعه الدولة عن طريق الإجراءات التي رسمها المشرع» . فالجريمة قد تكون عملًا يجريه القانون وقد تكون امتناعًا عن عمل يتطلبه القانون مثل حراسة مؤسسة من المؤسسات المهمة والامتناع عن ذلك .

ووفقًا للمفهوم الاجتماعي للجريمة فإنه يميل إلى كونها مسلكًا واقعيًا له دوافعه ودلالاته كل على حدة ، قبل أن تكون محض حقيقة قانونية ، فالجريمة سلوك واقعي له دوافعه أو محركاته أو بواعثه وله آثاره السلبية على أفراد المجتمع .

وللجريمة عناصر تميزها عن غيرها من أنماط السلوك الأخرى .

الجريمة سلوك له دوافعه وأسبابه :

الجريمة سلوك لأنها لا تقوم قانونًا دون ارتكاب فعل مادي وهو ما يعبر عنه اصطلاحًا بمبدأ مادية الجريمة .

الجريمة سلوك إنساني ، صادر عن إنسان ، وينبغي أن يكون هذا الإنسان متمتعًا بالقدرة على التمييز والاختيار ، وإلا لا يعد من الوجهة القانونية مرتكبًا للجريمة ولا تجوز مساءلته جنائيًا كصغير السن أو المجنون أو السكران اضطرارًا لانتفاء ملكة التمييز والإدراك لديهم ، وكذلك الأمر في حالة الإكراه أو الضرورة التي تجرد الشخص من إرادته الحرة المختارة وتحول دون مساءلته جنائيًا عن الجريمة التي ارتكبها . وذلك وفقًا لما تقضى به المادة 62 من قانون العقوبات المصري والتي يجرى نصها كالآتي :

« لا عقاب على من يكون فاقد الشعور أو الاختيار في عمله وقت ارتكاب الفعل . إما

لجنون أو عاهة في العقل وإما لغيبوبة ناشئة من عقاقير مخدرة أيًا كان نوعها إذا أخذها قصرًا عنه أو على غير علم منه بها »[1] .

الجريمة سلوك معاقب عليه :

تمثل العقوبة أهم مفترضات الجريمة ، فثمة أفعال غير مشروعة أخرى كالمخالفات المدنية الإدارية يرتب عليها القانون آثارًا معنية دون أن تصل إلى حد توقيع العقوبة الجنائية على المخالف ، فما يميز الجريمة إذن عما يشابهها من أفعال غير مشروعة هو عنصر العقوبة الجنائية الذي يخضع له الجاني . إذ هناك العقوبة التأديبية للموظف العام الذي يخرق القانون ، وقد تتمثل العقوبة غالبًا ، في صورة بدنية أو سالبة للحرية أو مقيدة لها أو مالية ، وقدي أخذ الجزاء الجنائي صورة ما يسمى بالتدابير الاحترازية أو الوقائية .

ويلاحظ أن العقوبة أو التدبير الاحترازي يردان في القانون على سبيل الحصر ، وتتفاوت أغراضهما بين ردع المجرم وإصلاحه وإعادة تأهيله مع المجتمع وتوقيع العقوبة عليه . فالعقوبة تستهدف الردع والإصلاح وإعادة التأهيل وفي نفس الوقت جبر حقوق المجني عليه .

ويرى الأستاذ الدكتور طارق عبد الوهاب أن الجريمة خرق أو تهديد لقيم المجتمع أو لمصالح أفراده الأساسية .

إن ما يميز الجريمة عن غيرها من مختلف الأفعال غير المشروعة ، أنها سلوك يصل في الجسامة حد الإخلال بشرط جوهري من شروط كيان المجتمع ووجوده .

والجريمة وفقًا لما تقدم اعتداء على مصالح عليا بلغت من الأهمية حد تدخل المشرع بتحريم المساس بهذه المصالح وفرض عقوبة على من يخالف ، وقد تعبر هذه المصالح عن قيم المجتمع نفسه ، وقد تمثل مصالح أفراده الأساسية ، وقد تمثل الاثنين معًا .

فالجريمة خرق للقانون كما أنها خرق وتهديد لقيم المجتمع ومصالحه .

تغير ما يعتبره المشرع ، حكمًا ، من قيم المجتمع أو مصالح أفراده الأساسية :

ومن هنا ندرك معنى فكرة نسبية الجريمة ، وسلوك الزنا نجده مجرمًا في بعض القوانين الأوربية فلأنه كان يمثل عدوانًا على قيم المجتمع ، ومع التطور الحاصل لهذه المجتمعات ،

---

(1) قانون العقوبات المصرى ، المادة (62) .

فقد تغلبت قيمة « التحرر » على قيمة « فضيلة العفة » ودخلت الأولى ضمن النظام القيمي للمجتمع ، بينما خرجت الثانية عنه . فالجريمة تختلف باختلاف الزمان والمكان . ومن ذلك تفاوتت عقوبة جريمة الرشوة في التشريع المصري وتغليظ عقوبتها في الوقت الحاضر بعد أن كانت مجرد جنحة .

ولهذه الخاصية للجريمة ، في مفهومها القانوني ، أهمية كبيرة فبقدر ما نقترب من الخاصية السابقة عليها بقدر ما ينجح المشرع الجنائي في تحقيق الردع كأحد وظائف العقوبة ، وذلك لا يتأتى إلا بتوفر شعور الأفراد المخالفين للقاعدة الجنائية بحقيقة « تأثيم » السلوك . فالعقوبة تستهدف الردع كما تستهدف رد حقوق المجني عليهم .

ضرورة وجود النص القانوني :

جوهر الجريمة أنها سلوك معاقب عليه قانونًا أي بمقتضى نص القانون . فالمصدر الوحيد للجرائم والعقوبات هو القانون ويعبر عن ذلك « بمبدأ الشرعية الجنائية » أي لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص القانون .

والهدف من تقرير مبدأ الشرعية على هذا النحو مواجهة احتمال استبداد القضاء أو تساهله وضمان حريات الأفراد ، بحيث لا يجوز معاقبة شخص عن جريمة ينص عليها القانون ، ولا الحكم عليه بعقوبة لم يرد النص عليها أو بعقوبة تزيد في مقدارها عما هو وارد في النص ، كما لا يجوز معاقبة الجاني عن نفس الجريمة مرتين أو أكثر ، ويقرر الدستور المصري الحالي مبدأ الشرعية ، حيث تنص المادة (66) منه على أنه :

« لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على القانون ، ولا توقع عقوبة إلا بحكم قضائي ، ولا عقوبات إلا على الأفعال اللاحقة لتاريخ نفاذ القانون » . وفي نفس المعنى تقرر المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري أنه يعاقب على الجرائم بمقتضى القانون المعمول به وقت ارتكابها ، كما أنه لا يجوز تطبيق القانون بأثر رجعي أي تطبيقه على وقائع حدثت قبل صدوره [1] .

الجريمة عبارة عن سلوك معقد ومتنوع وتتدخل فيه عوامل كثيرة وراثية ومكتسبة من

---

(1) سليم ،طارق عبد الوهاب ، (ب.ت) ، المدخل في علم العقاب الحديث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص 25 : 36 .

البيئة ومن التنشئة الاجتماعية ، فهو ليس سلوكًا بسيطًا ، ولذلك هناك منذ عهود بعيدة محاولات عديدة لتفسير هذا السلوك ومعرفة أسبابه ودوافعه ، وكذلك التعرف على علاقته بكل من الذكاء والضعف الفعلي وصلته بالصحة والمرض العقلي أو النفسي . ولما كان السلوك الإجرامي ، كغيره من أنواع السلوك ، هو صادر عن شخصية صاحبه بكامل عناصرها الجسمية أو العصبية والعقلية والنفسية والروحية والاجتماعية ، فإن سمات شخصية الفرد تتدخل ، بصورة أو بأخرى فيما يأتيه الفرد من سلوك إجرامي وانحرافي أو سلوك طبيعي ، فالسلوك يصدر عن الإنسان بكليته باعتباره وحدة جسمية نفسية . ومن هذه السمات ما يلي :

1) التسرع أو الاندفاعية .
2) القلق والتوتر Tension and anxiety .
3) التقلب وعدم الثبات الانفعالي Emotional instability .
4) الانطواء أو الانبساط .
5) الأنانية والطمع والجشع .
6) نزعة السادية وهي الانتقام وإنزال الأذى بالغير .
7) السيكوباتية أو الانحراف السيكوباتي Psychopathy وما يتسم به الشخص السيكوباتي من الأنانية والطمع والجشع والجمود العاطفي أو التبلد العاطفي وقلة الشعور بالذنب وعدم تحمل المسئولية والميل للكذب والرياء والنفاق والابتزاز والاستغلال والدس والوقيعة بين الناس وما إلى ذلك من خصائص تسهم في السلوك الإجرامي .

تعدد العوامل المتداخلة في السلوك الإجرامي :

1) الأنا الدنيا id بوصفها أحد مكونات الشخصية مع الأنا الوسطى ego والأنا العليا Superego . هذه الأنا الدنيا هي مستودع الغرائز والشهوات والملذات والدوافع العدوانية والشهوانية والبدائية الفجة وتسعى لتحقيق الإشباع لدوافعها البدائية والحيوانية والشهوانية في الإنسان دون مراعاة لقيم المجتمع أو معاييره أو المنطق العقلاني .

2) غريزة الموت والتدمير والتخريب باعتبارها مسئولة عن سلوك القتل والانتحار وتدمير الإنسان لغيره ولنفسه . ويقابلها غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية Life instinct and death instinct .

3) نزعة السادية وما تنطوي عليه من نزوع نحو إلحاق الأذى والضرر والانتقام بالغير لإشباع دوافع جنسية أو لإشباع دوافع الانتقام Sadism .

4) الاتجاه نحو الانتحار على اعتبار أن الانتحار جريمة مرتدة إلى الذات أو هو عدوان مرتد إلى ذات صاحبه Suicide .

5) انحراف التلصص الجنسي أو استرقاق السمع للأحداث والأفعال الجنسية على اعتبار أن هذا السلوك يمثل جريمة يعاقب عليها القانون .

6) انحراف كشف العورة وهو انحراف نفسي / جنسي ويشكل جريمة من بين الجرائم التي ترجع لأسباب نفسية أو الجرائم ذات الطابع النفسي السيكولوجي الشاذ ، حيث يتعمد المريض كشف عورته أو أجزاء من جسمه أمام الناس وخاصة أمام المارة وبالذات طالبات المدارس .

7) انحراف نبش المقابر والبحث عن جثث النساء حديث الوفاة وممارسة الجماع معها وذلك لدى بعض المرضى النفسيين .

8) الهيام بالحيوانات وممارسة الجنس معها ، ويوجد هذا الانحراف لدى رعاة البقر والقرويين الذين يعيشون لفترات طويلة مع الحيوانات .

9) انحراف حب الأثر أو التعلق الجنسي بأثر من آثار المحبوب واستدرار اللذة الجنسية من تلمس هذا الأثر ، وارتباط هذا الانحراف بجريمة سرقة الملابس الداخلية للنساء وتكدسها ، والاستمناء عند لمسها ، ومن هذه الآثار الملابس الداخلية والفراء والأحذية والجوارب وخصلات الشعر .

10) انحراف السرقة القهرية ويشكل جريمة من وجهة النظر القانونية وينبع من دوافع جنسية .

11) انحرف الحريق القهري ، حيث يستدر المريض لذاته الجنسية من مشاهدة ألسنة اللهب أمامه .

12) هوس القتل أو جنون القتل ، وهو جريمة المحرك الأول فيها أو الدافع الأول هو الرغبة الشديدة والمرضية في القتل .

13) مرض الصرع وارتباطه بالجريمة أو بسلوك العنف ، علمًا بأن الصرع مرض عصبي عضوي ، ولكن له انعكاسات وأعراض عقلية ونفسية وسلوكية .

14) الهلاوس وهي مدركات حسية يتوهم المريض وجودها ويتصرف على أساس هذا الوهم كأن يرى أشباحًا أو يسمع أصواتًا أو يرى الزواحف تزحف فوق الحوائط .

15) الضلالات أو الهذاءات وهي أفكار خاطئة يعتقد المريض في صحتها ، فقد يتوهم المريض أن هناك مؤامرة تحاك ضده لقتله ، ولذلك يبادر هو بقتل « هؤلاء الخصوم » .

16) عصاب القلق حيث قد يدفع القلق الشديد صاحبه لارتكاب الجريمة دون وعي كامل أو سيطرة كاملة على أعصابه .

17) تعدد الشخصية أو ثنائية الشخصية ، حيث تتناوب على المريض شخصيات مختلفة ، وقد ترتكب إحداها جريمة ما دون علم أو موافقة الشخصيات الأخرى .

18) استعراض الجريمة كمفهوم نفسي أو سيكولوجي علمًا بأن التراث العلمي يحدثنا عن الجريمة « كمفهوم قانوني » و « الجريمة كمفهوم اجتماعي » ، وهنا يستعرض الباحث الجريمة « كمفهوم سيكولوجي » ، بمعنى أنها سلوك له دوافع نفسية وتتحكم فيه عوامل عقلية أو معرفية إلى جانب إسهام بعض سمات الشخصية في الجريمة وفي السلوك الإجرامي ، فالجريمة بمعنى من المعاني هي « مفهوم سيكولوجي » ينجم عن وجود خلل فادح في قوى الإنسان العقلية والمنطقية والنفسية والإدراكية وفي هذه الحالة يفقد المجرم القدرة على السيطرة أو ضبط سلوكه أو دوافعه وغرائزه وشهواته ونزواته ، فيقبل على الجريمة وهي في حالة من الخلل وعدم التوازن النفسي أو الاتزان النفسي وفي حالات أخرى يكون في حالة من الجمود والتبلد النفسي ، وليس أدل على ذلك من وجود بعض الجرائم ذات الطابع النفسي ، أي التي تتدخل فيها العوامل النفسية وخاصة الانحرافات والخلل والاضطرابات النفسية ، ومن ذلك السرقة القهرية والحريق القهري ، وكشف العورة ، والسادية ، وجرائم الاغتصاب الجنسي . و كذلك

تلك الجرائم التي يرتكبها ضعاف العقول أو المتخلفين عقليًا ، كالاشتغال بالدعارة أو ترويج المخدرات أو النشل .

كما يتدخل الذكاء الشديد في الجرائم التي تحتاج إلى درجة عالية من التدبير والتخطيط والتنسيق كالسرقات الكبرى والجرائم السياسية وجرائم التجسس والاختلاس والتزوير والتزييف ، فكما أن الضعف العقلي قد يؤثر في الجريمة فإن الذكاء قد يتدخل أيضًا .

الجرائم والانحرافات الجنسية ذات الطابع النفسي Sexual deviations :

الانحرافات الجنسية أو الاضطرابات الجنسية ، وترجع في نشأتها لأسباب في أغلبها نفسية .

Voyeurism and exhibitionism :

ويشير هذا إلى انحراف جنسي مؤداه استدرار اللذة الجنسية من النظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين أو مشاهدة أو ملاحظة الآخرين وهم يمارسون نشاطًا جنسيًا ، وفي انحراف كشف العورة يجد المريض لذته من استعراض أعضائه للآخرين .

Sadism and Masochism :

تتضمن السادية استدرار اللذة من إلحاق الأذى بالآخرين ، وتتضمن الماشوسية استدرار اللذة من وقوع الألم على الذات .

Satyriasis and Nymphomania :

انحراف جنسي عند الرجال يشير إلى الشراهة الجنسية ، ويشير الانحراف الآخر إلى النهم الجنسي عند النساء .

Fetishism :

يشير هذا الانحراف إلى التعلق الجنسي بأثر من آثار المحبوب ، مثل الحذاء أو الفراء أو الجوارب أو الملابس الداخلية .

Transvestitism :

تشير إلى انحراف التشبه في الملابس بالجنس الآخر .

Homosexulaity :

تشير إلى اللواط أو الجنسية المثلية أو الميل لممارسة الجنس مع أفراد من نفس الجنس .

Pedophilia :

انحراف مؤداه الهيام بالأطفال الصغار جنسيًا .

Bestiality :

انحراف مؤداه الهيام بالحيوانات وممارسة الجماع معها .

Sex Crimes :

ومن أظهر الجرائم الجنسية السرقة القهرية والحريق القهري .

Pyromania and Kleptomania .

وكذلك الاغتصاب الجنسي Rape [1] .

مفهوم التحليل النفسي Psychanalysis :

هو نظرية ، ومنهج سيجموند فرويد عالم النفس النمساوي في تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية والعقلية ، وتتسم بالدينامية لاحتوائها على كل نواحي الحياة العقلية الشعورية واللاشعورية ، مع التأكيد بوجه خاص على ظاهرة اللاشعور ، واستخدام منهج التداعي الحر لبلوغ أسباب الداء وتشخيص المرض .

والطرق الأساسية في التحليل النفسي أربع :

هي التداعي الحر ، وتحليل الأحلام ، والعصاب الطرحي ، والتفسير ، وإعادة التعلم ، بهدف حل المشكلات الانفعالية الرئيسة في الطفولة وبواسطتها تنتقل المادة اللاشعورية المكبوتة للمريض إلى مستوى الوعي ، فتنكشف ، ويفسرها المعالج على أساس علاقتها بأعراضه وبمفهومه عن الذات وعلاقاته بالآخرين [2] .

فالتحليل النفسي عبارة عن نظرية وضعت لتفسير الشخصية وفي تفسير الاضطرابات النفسية ومعرفة أسباب نشأتها ، كما أنه منهج من مناهج العلاج النفسي يعتمد في تحقيق الشفاء على الكشف عن محتويات أو مكونات اللاشعور في حياة الفرد والتعرف على العقد والأزمات والخبرات المنسية أو المكبوتة والتي يؤدى الإفصاح عنها إلى تحقيق الشفاء.

---

(1) Strange, J.R., (1965), Abnormal Psychology, Understanding Behaviour Disorders, McGraw-Hill Book, Company, New York.

(2) الحفنى ، عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم لنفس والتحليل النفسي ،مكتبة مدبولى ،القاهرة ، ص 671 .

ويعتبر بعض علماء النفس العرب أن التحليل النفسي Psychoanalysis مدرسة من مدارس علم النفس ، وطريقة لمعالجة الاضطرابات العقلية والعصابية ، قام بتطويرها سيجموند فرويد (1856 – 1939) ، تتميز بنظرة دينامية إلى جميع نواحي الحياة العقلية ، الشعورية منها واللاشعورية ، وتشدد بصورة خاصة على ظاهرة العقل الباطني أو اللاشعور في الكشف عن محتوياته ، كما أنها تتصف بأسلوب مفصل في الاستقصاء والمعالجة ، يستند إلى استخدام وسيلة التداعي الحر المستمر ، حيث يتطلب التحليل حالة من الاسترخاء لدى المريض ، ويستهدف انتزاع المكبوتات اللاشعورية وكشف العقد النفسية والمحتويات المكبوتة لكي يتخذ المريض موقفًا آخر منها ، يقوم على أساس الفهم الموضوعي والحقيقي لمشاكله [1] .

وهناك من يعتبر التحليل النفسي Psychoanalysis مجرد مجموعة من الأساليب للكشف عن خصائص الخبرات والأنشطة الانفعالية البشرية الناجمة عن الدوافع اللاشعورية ، وهو نظرية طورها سيجموند فرويد وأتباعه ، وتم فيها كثير من التطور عن صورتها الأولى التي وضعها مؤسسها فرويد[2] .

فهناك مدرسة التحليل النفسي الجديدة Neopsychoanalysis وهي عبارة عن عدة مدارس تحيد عن مدرسة فرويد في بعض المفهومات العلمية وطرق العلاج ، لكن لا تزال داخل الإطار العام للمدرسة الأم وهي مدرسة التحليل النفسي .

ولقد كانت مدرسة فرويد تؤكد أثر الغرائز – خاصة الغريزة الجنسية وغريزة العدوان أو غريزة الموت والخراب والتدمير وذلك في تكوين الشخصية والاضطرابات النفسية .

أما هذه المدارس الجديدة فتؤكد أثر العوامل الحضارية والتفاعل بين الناس وترى أن ميدان التحليل النفسي وثيق الصلة بعلم النفس الاجتماعي ، وكانت المدرسة الأصلية تؤكد أثر الطفولة إلى حد بعيد وكذلك أثر عامل الجنس ، أما هذه المدارس فتهتم بحاضر الفرد وظروفه الراهنة أكثر مما تهتم بماضيه وظروف طفولته الأولى ، وممن ينتمون إلى هذه المدارس « فروقم Fromm ، كاردنر Kardiner ، وهورناي Horney » وغيرهم من علماء النفس التحليلي ، فظروف الحاضر تؤثر في الشخص مثلما تؤثر فيه ظروف الماضي وأحداث الطفولة .

---

(1) رزوق ، أسعد ، (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 70 .

(2) بتروفسكي ، أ.ف، ياروشفسكي ، م.ج ، ترجمة حمدي عبد الجواد ،عبدالسلام رضوان ، (1996) ،معجم علم النفس المعاصر ، دار العالم الجديد ،القاهرة ، ص 235 .

ومؤسس مدرسة التحليل النفسي Psychoanalysis هو الطبيب النمساوي « فرويد » الذي اكتشف الجانب اللاشعوري من النفس الإنسانية ثم أصبحت هذه المدرسة نظرية ونظامًا سيكولوجيًا كان له أبلغ الأثر ليس فقط في علم النفس بل وفي سائر العلوم والفنون الإنسانية الأخرى كعلوم الاجتماع والتربية والسياسة والأدب والفن وتاريخ الحضارة الإنسانية وغيرها . هذا إلى جانب منهجها الفريد في العلاج النفسي المعروف باسم منهج العلاج بالتحليل النفسي .

ومما تنفرد به هذه المدرسة الحقائق الآتية :

1) توكيدها أثر العوامل والدوافع اللاشعورية في تفسير السلوك السوي والشاذ للإنسان ، مع عدم إغفالها دراسة الحياة النفسية الشعورية .

2) اهتمامها بدراسة الشخصية السوية والشاذة اهتمامًا بالغًا : تشريحها وتكوينها وعوامل انحرافها ، فإن كان علم النفس هو علم دراسة السلوك ، فالتحليل النفسي هو علم دراسة الشخصية .

3) توكيدها الأثر الخطير لمرحلة الطفولة المبكرة ، خاصة علاقة الطفل بوالديه ، في تشكيل شخصية الراشد وفي تمهيد الطريق ، للإصابة بالأمراض النفسية والعقلية فيما بعد ، وكذلك توجيهها النظر إلى الأهمية النفسية لمرحلة الرضاعة التي لم يكن الأقدمون يهتمون بدراستها ، وقد قدمت نظرية جديدة في مراحل نمو الإنسان وفي بناء شخصيته .

4) بسطها لمفهوم الغريزة الجنسية ودراسة تطورها من الناحية النفسية وصلة ذلك بشخصية الفرد وسلوكه ونموه .

5) ولقد كان فرويد هو أول من حاول تطبيق المنهج العلمي في تأويل الأحلام وصاغ نظرية ملتئمة عنها قوامها أن الأحلام تعبير عن اللاشعور والدوافع والرغبات المكبوتة وأن الأحلام هي الطريق المثلى للكشف عن اللاشعور .

6) كانت من أولى المدارس الحديثة التي أكدت وحدة الإنسان وقاومت الثنائية القديمة للجسم والنفس [1] . حيث تؤكد عامل التفاعل بين قوى النفس وقوى الجسم .

---

(1) راجع ، أحمد عزت ، (1994) ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 47 .

من عناصر الشخصية في الفكر التحليلي : الهو Id الذات الدنيا والذات العليا :

وهو منبع الطاقة البيولوجية والنفسية التي يولد الفرد مزودًا بها ، فهو يضم الدوافع الفطرية التي ترجع إلى ميراث النوع الإنساني كله والحاجات الفسيولوجية وغريزة العدوان أو القتل والتخريب والتدمير .

وبعبارة أخرى ، فهو طبيعة الإنسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهذيب ، وهو جانب لا شعوري عميق ليس بينه وبين العالم الخارجي الواقع صلة مباشرة ، لذا فهو لا يعرف شيئًا عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية ، ولا يعرف شيئًا عن الزمان والمكان ، وهو أحد العناصر الثلاث المكونة للشخصية في الفكر التحليلي .

فالرضيع يصرخ ويرفس ويتبول متى شاء وحيث شاء وكيف شاء ، أي أنه يندفع إلى إشباع حاجاته اندفاعًا عاجلًا مباشرًا كاملًا بكل صوره وبأي ثمن [1] .

لذا يقال إنه يسير وفقًا « مبدأ اللذة » لأنه يستهدف تجنب الألم والتوتر والحصول على اللذة ، أما الذات الوسطى فتسير وفقًا لمبدأ الواقع أو المجتمع .

سلوك الإنسان والغرائز :

يقصد بالغريزة Instinct ، في معناها الأصلي ، أنها دافع حيواني ويأتي اللفظ من كلمة Instinctus اللاتينية ، ومعناها محرك فطرى بيولوجي أي وراثي يولد الإنسان مزودًا به ولا يكتسبه من البيئة .

والغريزة لها مصدر بيولوجي يمدها بالطاقة ، ولها هدف يشبعها ويفرغ طاقتها ، وفشل الغريزة في العثور على هدف والإشباع يسبب لصاحبها الشعور بالإحباط الغريزي . وينفعل الأنا بزيادة التوتر الغريزي ، الذي يفوق طاقته على الاحتمال بالقلق ، فللغريزة أهداف لابد من إشباعها وعدم إشباعها يسبب الشعور بالقلق والتوتر . وينبهه القلق إلى اتخاذ إجراءات دفاعية . ولقد روج سيجموند فرويد (1856 – 1939) لنوعين من الغرائز متعارضين ، وسبب تعارضهما وصراعهما العصاب أي المرض النفسي ، وحتى سنة 1920 كان النوعان في رأيه هما غرائز الأنا والغريزة الجنسية أو غرائز الحياة ، وغرائز الموت أو التدمير ، وهما المسئولان عن

(1) راجع ، أحمد عزت ، (1994) ، مرجع سابق ، ص 497 .

السلوك الغريزي عنده وهما غريزة الموت والغريزة الجنسية أو غريزة الحياة [1] .

والغريزة Instinct ، بمعناها الأصلي ، هي الاندفاع الحيواني ، وهى اصطلاح عام للدلالة على الدافع الطبيعي أو الموجود عند الولادة أو عند ميلاد الطفل والمنقول إليه عبر ناقلات الوراثة أو الجينات .

واستخدمت اللفظة في الأزمنة الحديثة على نحو خاطئ للدلالة على أنماط السلوك وأشكاله ، بدلًا من الدفاع السليقي أو الفطري الكامن ، غير أن السلوك يوصف بالغريزية ، والغريزة هي الباعث الفطري أو المحرك الموجود منذ الولادة ، والاستجابة المعقدة غير المكتسبة بالتعلم ، والدافع الفطري مصحوبًا بتهيج عاطفي خاص [2] .

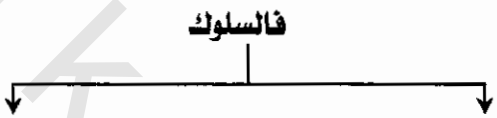

من أظهر أنواع السلوك الفطري السلوك الجنسي والامتصاص والصياح ومن أظهر السلوكيات المكتسبة التدخين والعزف الموسيقى والكتابة والقراءة .

الغريزة Instinct :

هي استعداد سابق ثابت تطوريًا ، محدد وراثيًا ، لدى أحد الأنواع البيولوجية لتنفيذ مجموعة نمطية أولية من الأفعال الهادفة بيولوجيًا ، كالتناسل أو الإنجاب ، مما يجعل بالإمكان الحصول على نتائج معينة دون توقعها ودون تعليمات أولية حول كيفية تحقيقها ، ويستخدم مصطلح الغريزة بشكل عام للدلالة على الأعمال غير الإرادية الفطرية النمطية والجوانب غير الواعية وغير المدركة تمامًا للسلوك الهادف القائم على خلفية وجدان قوى في الإنسان . ويرتبط مفهوم الغريزة ارتباطًا وثيقًا بفكرة وجود برامج موروثة للسلوك تميز أنواعًا معينة وتهدف إلى تلبية الحاجات الحيوية للكائن ، ويمكن تفسيرها من وجهات نظر ثلاثة :

---

(1) الحفني ، عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص 395 .

(2) رزوق ، أسعد (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص157.

1) أساسها الوراثي . 2) آليات العصبية الفسيولوجية .

3) محصلة مظاهرها السلوكية .

ونتيجة لدراسات علم النفس الوظائفي الحديث تكونت فكرة عامة عن الغريزة كآلية معقدة منظمة هرميًا ومحددة نوعيًا « لتفريغ » الدوافع الحيوية السائدة التي تغدو فيها الحدود بين الفطري والمكتسب نسبية بصورة متزايدة مع تطور قشرة مخية جديدة [1] .

غرائز الحياة أو الإيروس أو الغريزة الجنسية Life Instincts, Eros :

دوافع المحافظة على الذات والتكاثر ، وإيروس هو إله الحب الإغريقي ، وصورته طفل مجنح ، وكان الإغريق يتصورونه رمز القوة المبدعة في الحياة ، وباقي المدن ، وموثق للصداقات ، واعتبروه إله الرغبة الجنسية ، ولذلك وصفوه بالقسوة والصلف والعدوان .

وتصوره الرومان طفلًا مجنحًا يحمل سهام الرغبة الجنسية يصوبها إن شاء ، وأطلقوا عليه اسم كيوبيد ، أي إله الحب ، واستخدم فرويد اسم إيروس ليرمز لقوة الحياة والغرائز الجنسية [2] .

غرائز الحياة Life Instincts :

اصطلاح يستخدمه علماء التحليل النفسي بصورة مبهمة ، حيث إنه يشمل ، أحيانًا ، دوافع الحفاظ على الذات وغريزة التكاثر أو التناسل ، مثلما يأتي أحيانًا كمرادف لكلمة Libido أو الطاقة الجنسية والنفسية الغريزية [3] .

غريزة الموت أو ثاناتوس Death Instinct, Thanatos :

لقد ميز فرويد بين نوعين من الغرائز ، إحداها يفضي إلى الموت ، وهي غرائز أو غريزة الموت ، والأخرى الغرائز الجنسية أو غرائز الحياة وتفضي إلى الحياة والبناء والتشييد والعمران .

وغريزة الموت تحركها دوافع التدمير ، وتتناقض مع غريزة الحياة أو الإيروس ، وهي تظهر كإجبار للتكرار ، بأن يجد الفرد نفسه مجبرًا على السعي إلى الموت بأن يكرر عجلة الحياة

---

(1) بتروفسكي ، أ.ف ، ياروشفسكي ، م.ج، ترجمة حمدي عبد الجواد ، عبدالسلام رضوان (1996) ، معجم علم النفس المعاصر ، دار العالم الجديد ،القاهرة ، ص 149 .

(2) الحفني ،عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص 437 .

(3) رزوق ، أسعد ، (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 230 .

العادية[1] . ومن الأمور التي تدل عليها إدمان الفرد على التدخين الغزير رغم علمه بضرره الأكيد على صحته وأثره في تقصير عمره .

غريزة الموت Death Instinct :

حسب نظرية فرويد ، هي الدافع الذي يستهدف الهدم والموت أو الهرب من الإثارة من جانب الفرد .

تقابلها « غرائز الحياة » ، تظهر في الدرجة الأولى بمثابة الدفاع نحو التكرار القسري ، يسعى الفرد من جرائها نحو الموت وذلك فقط من خلال تكرار دورة الحياة السوية[2] .

نظرية مكدوجل في الغرائز المتعددة :

يعتبر وليم مكدوجل عالم النفس البريطاني McDougall (1871 – 1938) وهو من أنصار المذاهب الغرضية في علم النفس ، أقوى مدافع عن فكرة الغريزة ، ويرى أن جميع الدوافع التي تثير نشاط الفرد يمكن أن ترد إلى دوافع أساسية هي الغرائز ، فالغريزة هي المحركات الأولى لكل نشاط حركي أو عقلي ، والغريزة كما يعرفها ، هي استعداد فطرى نفسي وجسمي ، يدفع الفرد إلى أن يدرك وينتبه إلى أشياء من نوع معين ، وأن يشعر بانفعال خاص عند إدراك هذه الأشياء ، وأن يسلك نحوها مسلكًا خاصًا .

والغرائز توجد عند الخليقة بأسرها من الحشرات إلى الثدييات والإنسان ، ويشترك الإنسان مع الثدييات العليا في الغرائز الآتية :

1) غريزة التماس الطعام .
2) غريزة التماس الراحة .
3) غريزة الإخراج .
4) غريزة التنفس .
5) غريزة الهروب .
6) غريزة المقاتلة وهى ما يهم الباحث في تفسير الجريمة ومعرفة أسبابها ودوافعها .
7) الغريزة الجنسية .
8) الغريزة الوالدية .
9) الغريزة الاجتماعية .
10) غريزة حب الاستطلاع .

---

(1) الحفنى ، عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولى ،القاهرة ، ص 194 .

(2) رزوق ، أسعد (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص 229 .

11) غريزة الحل والتركيب .
12) غريزة السيطرة .
13) غريزة الخضوع .
14) غريزة التملك والادخار .
15) غريزة الاستغاثة .
16) غريزة الهجرة .
17) غريزة النبذ .
18) غريزة الضحك .

ولكل غريزة مثير ينشطها ، وانفعال يصاحبها ، وسلوك يصدر عنها ، والغرائز عند الإنسان تتعدل فتشتق منها العواطف والعادات والميول والحاجات الفرعية المختلفة ، فهي ليست المحركات الوحيدة للسلوك لكنها المحركات الأساسية الأولى .

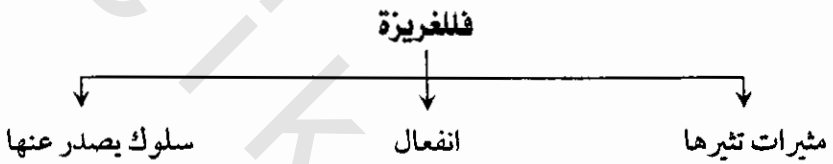

تنوع التفسير النفسي للسلوك الإجرامي:

يشمل التفسير النفسي للسلوك الإجرامي The Psychologically oriented explations of criminal behaviour يشمل النظريات الآتية التي وضعت لتفسير السلوك الإجرامي أو الجريمة :

1) نظريات التحليل النفسي في تفسير الجريمة Psychoanalytical theories of crime .
2) نظريات التعلم في تفسير الجريمة Learning theories of crime .
3) النظريات المعرفية أو العقلية في تفسير الجريمة Cognitive theories of crime .
4) النظريات الاجتماعية في تفسير الجريمة Social theories of crime .

وهناك نظريات تنظر للإجرامية أو للنزعة الإجرامية في الإنسان Criminality تنظر لها من المنظور السيكولوجي The Psychological Perspectives أو من وجهات النظر السيكولوجية ، وبالطبع يختلف هذا المنحى عن التفسير البيولوجي أو الحيوي الذي يرجع الجريمة إلى عوامل جسمية أو بدنية أو بيولوجية أو فسيولوجية .

ومن الحقائق العلمية الهامة أن هناك كثيرا من العوامل التي تترابط مع السلوك الإجرامي The criminal behaviour ، من ذلك عوامل بيولوجية أو وراثية ، وعوامل اجتماعية وأخرى

نفسية ، وكذلك هناك عوامل لاشعورية أي لا يدركها الفرد ولا يعيها ولا يعترف بها لنفسه ولا لغيره ، وهى العوامل التي تكمن في اللاشعور ، ومن ذلك العقد النفسية ، والدوافع المكبوتة أو المنسية والصراعات اللاشعورية ، فهناك دوافع لاشعورية تكمن وراء السلوك الإجرامي ، تحركه وتعد مسئولة عنه Unconscious Motivations ومثل هذا ، في التراث العلمي ، في مجال تفسير الجريمة الاتجاه التحليلي أو اتجاه علم النفس التحليلي The analytical approach وهو الاتجاه المنحدر من أعمال عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد .

وكذلك يتم السلوك الإجرامي أو الجريمة بإرجاعها إلى الخبرات المتعلمة أو المكتسبة Learning Experiences من خلال احتكاك الفرد وتفاعله مع البيئة الاجتماعية والمادية والعناصر الموجودة في هذه البيئة ، تلك العناصر التي تؤدى إلى حدوث تغير في سلوك الإنسان أو في أدائه . ذلك الأداء الذي من الممكن أن يتخذ شكلًا إجراميًا مخالفًا ومضادًا للقانون والمجتمع . ومن أبرز هذه النظريات في تفسير الجريمة نظرية التعلم الاجتماعي The social learning theory ومؤداها الاعتماد في الاكتساب على التقليد والمحاكاة ووجود النماذج السيئة التي يقلدها الفرد ، ومن ذلك مخالطة أقران السوء أو إذا كان سلوك الوالدين سلوكًا إجراميًا . وهناك أيضًا العمليات العقلية أو المعرفية التي قد تكون مسئولة عن السلوك الإجرامي The cognitive processes من ذلك قدرة الإنسان أو عدم قدرته على ممارسة التفكير والاستدلال الأخلاقي أو إصدار الأحكام الأخلاقية Moral reasoning كمعرفة الصواب والخطأ والحق والباطل ، والقدرة على تقدير عواقب الأمور .

وتتدخل ، كذلك ، العوامل الاجتماعية في الإتيان بالسلوك الإجرامي أو السلوك الشاذ Social Factors ، ومن ذلك الإشباع الذاتي أو تحقيق الذات أو إثبات الوجود لدى المجرم أي بناء على نبوءة تحقيق ذاته Self-fulfilling prophecies .

وبالطبع هناك العديد من النظريات والاتجاهات والمناحي العلمية التي تفسر السلوك الإجرامي ، وتلقى الضوء عليه ، وتساعد على فهمه وفهم الجريمة Understanding Crime وذلك من وجهة النظر السيكولوجية .

وبالنسبة لتفسير مدرسة التحليل النفسي للجريمة ، فإن هذا التفسير يضع كثيرًا من الأهمية على الدوافع أو محركات السلوك غير العقلانية أو غير المنطقية ، وكذلك الدوافع

اللاشعورية Irrational and unconscious motivations in criminal behaviour ويدخل في ذلك تأثير غريزة الموت أو التدمير أو التحطيم أو العدوان .

وينظر كثير من علماء النفس التحليلي للجريمة على أنها تعبير أو تنفيس أو منفذ محتمل للعمليات اللاشعورية المرضية . فالجريمة ناجمة ، وفقًا لهذا التصور ، على أنها تعبير عن المرض النفسي أوالعقلي الذي يتخذ هذا التعبير صورة لاشعورية Possible Manifestation of unconscious pathological processes فالجريمة تعبير محتمل عن العمليات المرضية اللاشعورية في الإنسان .

وجدير بالذكر أن اللاشعور يحتوى على الدوافع والرغبات اللاشعورية والمكبوتة أي المنسية ، وعلى العقد والأمراض النفسية ومن بين عملياته حيل الدفاع اللاشعورية The unconscious defense mechanisms وهى عمليات عقلية لاشعورية مثل :

1) الكبت	Repression
2) الإزاحة	Displacement
3) العكسية	Reaction-for man
4) التعويض	Compensation
5) التبرير	Rationalization
6) الإسقاط	Projection
7) التوحد أو التقمص	Identification
8) الإنكار	Denial
9) الإعلاء	Sublimation
10) العدوان	Aggression
11) الأحلام	Dreams
12) الإبطال	Undoing
13) الانسحاب	Withdrawal
14) أحلام اليقظة وأحلام النوم	Day Dreams
15) النكوص	Regression

obeikan.com

16) العزل Isolation

17) الاحتماء بالمرض الجسمي Capitalization

18) التكفير Atonement

والحقيقة أنه لا يوجد نظرية مستقلة في إطار التحليل النفسي عن الجريمة والسلوك الإجرامي ، ولكن هناك كثيرًا من الأفكار التي تفسر الجريمة في ضوء معطيات التحليل النفسي .

وهى إجراءات آلية لاشعورية ، أي غير مقصودة ، يقوم بها الفرد للتخلص من التوتر أو القلق الذي ينجم عن أزمته النفسية ، وهى إجراءات لا توافقية أي أنها لا تستهدف حل المشكلة بل الخلاص من القلق أو تجنبه ، ولذلك فلا يستحب الإكثار منها .

وهذه الحيل تعمل ، غالبًا ، على مستوى لا شعوري ، أي أن الفرد لا يكتسبها عن قصد ، ولا يستطيع ضبطها وكفها بإرادته .

ومن أسباب السلوك الإجرامي قول علماء النفس التحليلي بتأثير تعرض الطفل إلى الحرمان الأموي أو العطف الأموي للطفل Maternal Deprivation وخاصة وقد لوحظ هذا العامل وهو الحرمان من الأمومة في جرائم الأحداث الجانحين أو في جرائم الصغار .

مكونات الشخصية في الفكر التحليلي :

تتكون الشخصية الإنسانية في الفكر التحليلي من ثلاثة عناصر Three components في أعماق الذات يقع العنصر الأول وهو الذات الدنيا The Id ومنه تتخذ الدوافع التي تخدم الإنسان والتي تسعى لتحقيق اللذة أو السعادة للفرد أو تحقيق المتعة . وإذا عبرت الأنا الدنيا عن نفسها بحرية وانطلاق ، فإن ذلك سوف يؤدى إلى السلوك المضاد للمجتمع أو العدواني أو السلوك الإجرامي Antisocial Behaviour ، وفيه يتم خرق أو هدر القانون ، وكذلك القيم الأخلاقية ويرتكب الفرد كثير من الجرائم كالسرقة والعدوان على الغير .

الذات الدنيا تتطلب تحقيق المتعة أو اللذة أو الشهوة ولكن الذات الوسطى The Ego تتدخل وتعمل على ضبط سلوك الأنا الدنيا والتحكم فيه وإعادة توجيه الوجهة التي يقبلها المجتمع ، والتي تتمشى مع المنطق والعقل ، ذلك لأن الأنا الوسطى تسير وفقًا للحقيقة أو لمبدأ الحقيقة والواقع Reality .

وبالمثل فإن الذات العليا The super ego تتحكم في الذات الوسطى . هذه الذات العليا في الإنسان هي صاحبة المثل والمعايير الأخلاقية والمثالية ، وتحتوى كذلك على القواعد الأخلاقية The moral rules هذه القواعد يكتسبها الإنسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية أو عملية التطبيع الاجتماعي أو إكساب الإنسان إنسانيته Socialization ، حيث يكتسب الفرد القيم والمثل والمعايير والقواعد الأخلاقية والاجتماعية كما يكتسب العادات والتقاليد المرعية في المجتمع ، وبذلك يتحول ، عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي هذه ، إلى كائن اجتماعي مقبول في وسط الجماعة التي يعيش في وسطها ، بعد أن كان مجرد كائن حيوي أو كائن بيولوجي ، وعلى أساس من هذه العملية أي التطبيع الاجتماعي يصبح الفرد عضوًا مقبولًا في المجتمع ، وكذلك يمتثل لقيم المجتمع ونظمه ومعاييره وقوانينه ويطيعها ، وبذلك تسهم عملية التطبيع الاجتماعي في الحماية من التورط في الجريمة ، وكذلك في الحماية من الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات الأخلاقية .

وتسهم مؤسسات متعددة في تحقيق هذه التنشئة الاجتماعية من أخصها مؤسسة الأسرة والمدرسة والجامعة والمسجد وما على ذلك من مؤسسات المجتمع . وعن طريق عملية التنشئة الاجتماعية يمتص أو يكتسب أو يتعلم الفرد قيم المجتمع ويستدخلها في ذاته ، بحيث تصبح معاييره هو وقيمه هو وتصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانه الشخصي بعد أن يتقمصها أو يتوحد وإياها . ولذلك تلعب عملية التنشئة الاجتماعية دورًا حاسمًا في نمو الفرد وفي سلوكه وفي تمتعه بالصحة العقلية أو النفسية الجيدة ، وفي قبول المجتمع له وفي التزامه أو امتثاله لقيم المجتمع . وعلى ذلك إذا أريد إصلاح الفرد وإبعاده عن الجريمة والانحراف ، يجب إصلاح المجتمع الذي ينشأ ويترعرع فيه . الإنسان لا يعيش في فراغ ولابد من توفير القدوة الحسنة التي يقتدي بها والنماذج السلوكية الجيدة التي يقلدها أو يحاكيها .

إذا تصرفت الذات الوسطى ، بما يخالف مطالب الذات العليا في القواعد الأخلاقية ، فإنها تلقى العقاب من خلال الشعور بالإثم أو الذنب ومن خلال الشعور بالقلق .

بالنسبة للشخص حسن التكيف أو التوافق ، فإن الذات الوسطى تتصرف أو تسلك بما يحقق إشباعا لمطالب أو دوافع الذات الدنيا في الإشباع ، ولكن بطريقة مقبولة أخلاقيًا بالنسبة للذات العليا أو بطريقة تقبلها الذات العليا الحريصة على إتباع القيم والمثل العليا والمبادئ

الأخلاقية ، ومنها ، بالطبع ، احترام القانون وعدم التورط في السلوكيات المضادة للقانون أو العرف الاجتماعي السائد .

الإشباع Gratification أمر مباح ما دام يتفق مع القيم والمعايير الاجتماعية كالإشباع الجنسي الحلال عن طريق الزواج ، أو الكسب الحلال .

وعلى ذلك فإن السلوك المضاد للمجتمع ينتج أو ينجم عن سوء وظائف الذات العليا أو من جراء إصابتها بالمرض والانحراف أو من تصرفها غير الملائم . هذا الوضع يؤدى إلى نشأة علاقات مضطربة مع الوالدين في سنوات الطفولة ، مع ملاحظة أن مدرسة التحليل تضع أهمية كبيرة في حياة الإنسان على مرحلة الطفولة ، وخاصة الطفولة المبكرة ، وترى أنها المرحلة التي يتم فيها وضع أسس الشخصية في الكبر أو جذورها الأولى ، والتي تستمر مع صاحبها حتى نهاية العمر .

كذلك فإن مدرسة التحليل النفسي تضع أهمية كبيرة لعامل الجنس في حياة الإنسان وفي سلوكه وفي نموه وفي خلوه أو إصابته بالأمراض العقلية والنفسية .

وعلى ذلك ترى مدرسة التحليل النفسي أن السلوك الإجرامي قد ينجم من وجود الذات العليا مختلفة Over-Harsh أو من ذات عليا ضعيفة لا تقوم بوظائفها في ضبط السلوك وفي فرض القيم والمعايير على صاحبها ، هذه الذات العليا ، وهى المرادفة لضمير الإنسان الأخلاقي Concience ، تصاب بالعطب من جراء الخلل في العلاقات بين الطفل ووالديه في سن الطفولة ، ومؤدى ذلك أن الجريمة تجد جذورها في مرحلة الطفولة الباكرة وفقًا للتصور التحليلي .

الأنا الأعلى إذا كان شديدًا أو إذا كان طائشًا أو ضعيفًا أو شاذًا أدى ذلك إلى السلوك الإجرامي .

كيف يحدث ذلك ؟

إذا كانت الذات العليا شديدة الوطأة أزيد من اللازم ، وإذا كانت تفرض على صاحبها العقاب الشديد ، فإن صاحبها قد يتورط في السلوك الإجرامي من ذلك سلوك السرقة الاندفاعية Compulsive stealing ، وذلك بقصد نيل العقاب على هذه السرقة ، حيث سرق أو يتورط في جريمة السرقة الاندفاعية حتى ينال العقاب عليها .

أحيانًا ، يسرق الطفل أو المراهق أو يرتكب أية جريمة ، من أجل رغبته في إلحاق العقاب بالوالدين ، وترجع الرغبة اللاشعورية في نيل العقاب إلى الشعور بالذنب من جراء وجود رغبة لاشعورية في مرحلة الطفولة ، أي وجود رغبة شاذة أو عدوانية كان الطفل يعانى منها في مرحلة الطفولة .

أما الشخص صاحب الضمير الضعيف ، أو بلغة مدرسة التحليل النفسي ، صاحب الذات العليا الضعيفة ، فإنه لا يشعر بالذنب إلا قليلا ، وقد لا يشعر بالذنب إطلاقًا ، كما أنه لا يشعر بالقلق Anxiety and feeling of guilt وذلك حول سلوكياته المضادة للمجتمع كالجريمة والجنوح والانحراف Contemplated antisocial acts تلك السلوكيات التي يفكر أو يتأمل فيها ويعتزم القيام بها .

فالقلق والذنب هما اللذان يمنعان الإنسان من الإتيان بالسلوك الإجرامي ، ويساعدانه على السير في الطريق القويم ، وإذا كان الضمير ضعيفًا ، فإن صاحبه لا يوجد لديه كثير من عوامل الكف أو المنع للسلوك الإجرامي أو السلوك الأناني والعدواني الصادر عن الذات الدنيا .

وظائف الضمير الأخلاقي :

ومعروف وفقًا للتراث السيكولوجي أن للضمير الأخلاقي ، وهو المرادف للذات العليا ، وظيفتان هما الردع أو المحاكمة أو إنزال العقاب بصاحبه عن طريق الشعور بلوم الذات أو تأنيب الذات ، ووظيفة منع السلوك الإجرامي أو غير الأخلاقي قبل حدوثه ، وفي الوظيفة الأولى يشبه عمل الضمير عمل القاضي « الداخلي » الذي يحاسب صاحبه على ما يصدر عنه من الآثار والأخطاء والمعاصي والجرائم .

أما الوظيفة الثانية فهي وظيفة المنع للحدث الإجرامي قبل حدوثه ، ويشبه عمل الضمير هنا عمل رجل الشرطة الذي يناط به منع الجرائم قبل حدوثها أو يشبه عمل الرقيب أو عمل رجل الجمارك الذي يمنع دخول الممنوعات .

الشخصية السيكوباتية :

هذه الحالة تفسر ، في ضوء التراث العلمي لمدرسة التحليل النفسي ، صفات الشخص السيكوباتي وخصائصها وسماته The characteristics of the psychopath ومن أبرز سماته

ضعف الضمير ، وقلة أو انعدام الشعور بالذنب ، والميل للعدوان والانتقام والإيذاء ، وكذلك السرقة والكذب والرياء والنفاق والغش والخداع والجمود أو البرود العاطفي والميل للاستغلال والابتزاز وتسخير الآخرين لخدمة أغراضه .

أما الاحتمال الثالث لتفسير السلوك الإجرامي الخاصة بصاحب الأنا الأعلى المنحرفة أو المريضة Deviant Superego في حالة ما يكون المراهق على علاقة جيدة أو وثيقة أو وطيدة مع أب مجرم With a criminal father هذه العلاقة الوطيدة التي تربط بين الصبي ووالده المجرم ، حيث يستدمج أو يستدخل أو يمتص هذا الصبي قيم هذا الأب المجرم Inernalizing من خلال مجرى عملية النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي ، ومن بين استدماج قيم الأب يستدمج الطفل أيضًا اتجاهات الأب الإجرامية أو العناصر الإجرامية من شخصية الأب أو سماته أو صفاته The father's criminal attributes ويتبع ذلك أن ضميره أو ذاته العليا لن يستجيب بالنفي أو بالسلب نحو الأفعال الإجرامية Contemplated criminal acts .

أثر الذكاء والضعف العقلي في الجريمة :

ومن النتائج المهمة للذكاء أنه العامل الرئيسي من عوامل النجاح في الدراسة ، وأن مقاييسه تستطيع أن تتنبأ بالنجاح الدراسي والأكاديمي بدرجة كبيرة من الصدق ، وكما فندت مقاييس الذكاء الرأي الشائع بأن ضعف العقل أهم عامل في ارتكاب الجريمة ، وبينت أن الجريمة قدر مشاع بين الناس في جميع المستويات العقلية .

فالضعف العقلي وإن كان مسئولًا عن بعض الجرائم إلا أنه ليس العامل النفسي أو العقلي الوحيد .

ولقد نجحت مؤسسات ضعاف العقول في تدريب بعض ضعاف العقول على كثير من المهن النافعة خاصة إن كانوا من ذوى المزاج المستقر غير المتقلب ، غير أنهم مع هذا في حاجة إلى إشراف دائم من دونه يبعثرون أموالهم ويسيئون استخدام أوقات فراغهم ، ومن اليسير إغراء الذكور منهم بجريمة النشل والسرقة ، والإناث بممارسة البغاء ، ونسبة ذكاء الأهوك تتراوح بين 50 و 70 عادة وعمره العقلي 8 سنين أو أكثر قليلًا [1] .

---

(1) راجح ، أحمد عزت ، (1994) ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 422 .

دراسة ذكاء المجرمين :

وحيث ظهرت مقاييس الذكاء اتجه الاهتمام إلى دراسة ذكاء المجرمين من الكبار والجانحين من الصغار ، وقد أسفرت الدراسات الأولى عن أن أغلب هؤلاء من ضعاف العقل ، فاستنتج الباحثون أن ضعف العقل أهم عامل في الإجرام إن لم يكن العامل الوحيد ، ومن ثم نشأت نظرية « المجرم الضعيف العقل » التي لاقت رواجا كبيرا حين ظهورها ، فلما تحسنت طرق القياس وتحددت دلالة الضعف العقلي ظهر أن ضعاف العقول حقًا لا يؤلفون إلا بنسبة صغيرة فقط من المجرمين ، كما اتضح أن الجريمة قدر مشاع بين الصغار والكبار في جميع المستويات العقلية ، ولئن كانت نسبة الأذكياء بين المجرمين من نزلاء السجون أقل من نسبة الأغبياء وضعاف العقول ، فربما كان السبب أنهم أقدر على التعمية والإفلات والهرب من قبضة العدالة ، أو أقدر على الظفر بما يتوقون إليه دون حاجة إلى الالتجاء إلى الجريمة ، هذا إلى ما يمتازون به من قدرة على التبصر في عواقب أعمالهم .

وقد دلت الدراسات النفسية الحديثة ، إلى حد بعيد ، على أن ضعف العقل ليس السبب المباشر أو السبب الرئيسي للإجرام ، فهو لا يؤدى بذاته إلى الإجرام ، ولكنه يمهد الطريق لعوامل أخرى تسهل التردي في الجريمة ، فهو يعوق صاحبه عن التبصر في عواقب الأمور ، ويجعله عاجزا عن ضبط اندفاعاته ، كما يزيد من قابليته للإيحاء والتأثر من أقران السوء أو من مشاهدة فيلم سينمائى عنيف أو من غربة لدى الفرد نفسه .

وضعف العقل وإن كان لا يقوم بدور إيجابي في الجريمة ، إلا نه يقوم بدور في تعيين أو تحديد نوع الجريمة ، فضعيف العقل لا يقدر على جرائم الاختلاس والنصب والاحتيال والتزييف وغيرها مما يحتاج إلى تخطيط ، وجرائم الذكور – كبارًا وصغارًا – تدور حول السرقة والاعتداء والتسول وعند الإناث الجرائم الجنسية [1] .

تقويم وجهة النظر التحليلية في تفسير الجريمة :

في إطار تقويم نظرية التحليل النفسي أو بحوث التحليل النفسي في مجال تفسير الجريمة ومعرفة دوافعها The evaluation of psychoanalytical research into crime يقرر كثير من

(1) راجح ، احمد عزت ، (1994) ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 434 .

العلماء أن نظريات التحليل النفسي ليست عملية Unscientific بمعنى أنها لم تنحدر من بحوث علمية بالمعنى المنهجي للبحث العلمي ، حيث تغيب شروط البحث العلمي من حيث الاعتماد على الملاحظة والتجريب والقياس والموضوعية والاعتماد على عينات ممثلة للمجتمع الأصلي ، بحيث يمكن تطبيق نتائج هذه البحوث على المجتمع ككل ، حيث استمد فرويد نظرياته من معالجاته لبعض السيدات المصابات بمرض الهستريا في المجتمع النمساوي ، وفي عصر مغاير هو العصر الفكتوري . ولذلك يرى كثير من العلماء أن نظريات فرويد لا تعدو أن تكن مجرد افتراضات أو فروض علمية تحتاج إجراء بحوث علمية للتحقق من صحتها أو بطلانها ، ولكن حتى هذه الفروض هي فروض مفيدة Assumptions من هذه الفروض ما يلي :

1) أن عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي Socialization تعتمد على خبرات الطفولة أو ما يمر به الطفل من خبرات وهذه حقيقة واقعية إلى حد كبير .
2) إن العلاقات التي تربط الطفل بوالديه تكون ضعيفة أو سالبة أو سيئة ، هذه العلاقة « الطفل/ والديه » إذا كانت سالبة تصبح مسئولة عن جنوح الأحداث أي المجرمين الصغار .

ويلاحظ أن هذين الفرضين أي فرض التنشئة الاجتماعية وفرض علاقة الطفل بوالديه ، تقبلهما كثير من النظريات العلمية الأخرى ، خلافًا لنظريات مدرسة التحليل النفسي ، بمعنى أن النظريات الأخرى تشارك في قبول هذين الفرضين ، ومعنى هذا أن هناك بعض الفروض التي يقبلها علماء ينتمون إلى مدارس أخرى غير مدرسة التحليل النفسي .

3) الفرض الثالث المنحدر من مدرسة التحليل النفسي مؤداه أن النزعات الإجرامية ما هي إلا تعبير عن الصراعات اللاشعورية التي يعانى منها الفرد .
4) وجود صراعات لاشعورية من الدعائم الأساسية في مدرسة التحليل النفسي .

وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لسوء الحظ يصعب الحصول على أدلة مباشرة على صحة وجود هذه الصراعات اللاشعورية .

ولقد وجد العلماء بعض العوامل أو المتغيرات في سلوك الأحداث الجانحين تتصل بفكرة الصراعات اللاشعورية ، ومهما تكن قيمة التفسيرات التحليلية للسلوك الإجرامي ، فلقد ساعدت هذه الافتراضات في نشأة النظريات الأخرى التي وضعت لتفسير الجريمة .

ومهما يكن من أمر فإن العلاقة بين العوامل أو المتغيرات الأسرية ونشأة النزعة

الإجرامية ممكن شرحها أو تفسيرها من وجوه متعددة خلافًا لنظرية التحليل النفسي ، فيمكن تفسيرها من خلال نظرية التعلم الاجتماعي ، والتي تفترض حدوث التعلم للسلوك الإيجابي أو السلبي عن طريق التقليد والمحاكاة ووجود نماذج يقتدى بها الطفل أو المراهق في سلوكه ، وعلى كل حال ، فلقد أصبح من النادر اعتماد الباحثين في مجال الجريمة والسلوك الإجرامي على نظريات التحليل النفسي ، حيث توجد نظريات أخرى كثيرة تسهم في تفسير نشأة الجريمة والسلوك الإجرامي[1] .

الخلاصة وآفاق البحث المقبلة

استعرضت هذه الدراسة ، المتواضعة ، استعراضًا نقديًا مفهوم الجريمة وخصائصها القانونية والاجتماعية ، ومن أبرز هذه الخصائص « أنه لا جريمة بلا نص » ، وأن الجريمة شخصية حيث لا يعاقب عليها إلا فاعلها أو المشارك معه بالتحريض والاتفاق والتخطيط .

واستعرضت الدراسة ، كذلك الجرائم والانحرافات الجنسية ذات الطابع النفسي ، وتناولت مفهوم التحليل النفسي بوصفه نظرية في بناء الشخصية وفي تفسير الأمراض ، وبوصفه منهجًا من أهم مناهج العلاج النفسي الحديث .

وأشارت الدراسة إلى الغرائز بوصفها دوافع للسلوك ، وعلى وجه الخصوص غريزة الموت أو الدمار أو العدوان أو التخريب ، باعتبارها مسئولة عن حدوث بعض الجرائم ، وهى الغريزة التي تقابل غريزة الجنس أو غريزة الحياة وهى المسئولة عن نشاط البناء والتعمير في حياة الإنسان .

وأشارت الدراسة إلى النظريات النفسية التي وضعت لتفسير الجريمة أو السلوك الإجرامي ومعرفة أسبابه ودوافعه .

وفي هذا الإطار استعرضت الدراسة الدوافع اللاشعورية التي قد تكمن وراء بعض الجرائم ، ونوهت الدراسة إلى تأثير حرمان الطفل من العطف الأموي على سلوكه الإجرامي فيما بعد .

وأبرزت الدراسة تأثير ضعف الضمير الأخلاقي في حدوث الجريمة ، وهو المرادف

(1) Putwain, D., and Sammons, A., (2002), Psychology and crime, Routledge, Taylor and Francis, Group, London, P. 45.

للذات العليا في إطار مدرسة التحليل النفسي ، واستعرضت الدراسة كذلك تأثير كل من الذكاء والضعف العقلي في الجريمة .

وأخيرًا ، قدمت الدراسة تقويمًا لآراء مدرسة التحليل النفسي في تفسير الجريمة ، وذلك في ضوء المنهج التجريبي أو العلمي .

وتفتح هذه الدراسة ، المتواضعة ، الآفاق الواسعة أمام الباحث العربي للقيام بالبحوث والدراسات التي يشترك فيها رجال الأمن ورجال القانون والقضاء وعلماء النفس ، ومن ذلك ما يلي :

1) دراسة تأثير عملية التنشئة الاجتماعية على الميل للجريمة والانحراف .
2) دراسة تأثير الحرمان من العطف الوالدي على السلوك الإجرامي .
3) دراسة تأثير العوامل المكبوتة في الشخصية على سلوك صاحبها الإجرامي مثل العقد النفسية وخبرات الفشل والإحباط والحرمان .
4) دراسة التحقق من مدى تأثير غريزة العدوان على السلوك الإجرامي .
5) دراسة تأثير النزعات السيكوباتية في الشخصية على السلوك الإجرامي .

توصيات الدراسة

توصي هذه الدراسة ، المتواضعة ، بعدد من التوصيات منها ما يلي :

1) نشر الوعي السيكولوجي والتربوي والأخلاقي والروحي والديني بغية القيام بعملية التنشئة الاجتماعية على أطيب الوجوه وأفضلها .
2) حماية الأسرة العصرية من الضغوط والأزمات وتمكينها من رعاية أطفالها رعاية جيدة ومتكاملة تحول بينهم وبين الانحراف .
3) عقد المؤتمرات والندوات وحلقات الدرس العلمية التي تدور حول تفسير الجريمة ومعرفة أسبابها ودوافعها ، ودور الأسرة والمدرسة والمسجد في الوقاية من التورط في الجريمة ، وكذلك معرفة الجرائم الجديدة التي ظهرت مع ظهور حركة العولمة والانفتاح الثقافي .
4) تقديم برامج نفسية وتربوية لرجال الأمن والشرطة لمساعدتهم في فهم الشخصية الإنسانية ، ومعرفة سلوكها ، والعوامل المؤثرة في هذا السلوك ، والإلمام بجوانب الشذوذ والانحراف التي قد تدفع لارتكاب الجريمة .

5) الإيمان بأن ارتكاب الجريمة قد يريد به صاحبها أن يوقع نفسه أو ذويه تحت طائلة العقاب وهي رغبة لاشعورية في نيل العقاب .

6) الإيمان بأن العدوان قد يرتد على الذات وتبلغ قمته في ارتكاب جريمة الانتحار .

7) أن العدوان قد يزاح أو ينقل من مصدر إثارته إلى شخص آخر أو أشخاص آخرين مثل الأقليات التي قد تتخذ كبش فداء .

8) أن الطفل قد يتعلم السلوك الإجرامي عن طريق والده .

9) أن الطفل قد يأتي بالسلوك الإجرامي من جراء معاشرة أقران السوء .

10) أن العدوان قد يأتي تعبيرًا عن التعويض عن الحرمان لدى الطفل أو المراهق .

11) أن العدوان قد يكون ناجمًا عن التعرض للإحباط أي أن يكون العدوان رد فعل لما يتعرض له الفرد من الإحباط والفشل في إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه .

قائمة المراجع :

1) الحفني ، عبد المنعم ، (1994) ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

2) الدستور المصري ، (1971) .

3) بتروفسكي ، (أ.ف) ، ياروشفسكي ، م.ج ، ترجمة حمدي الجواد ، وعبد السلام رضوان ، (1996) ، معجم علم النفس المعاصر ، دار المعالم الجديد ، القاهرة .

4) راجح ، أحمد عزت ، (1994) ، أصول علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة .

5) رزوق ، أسعد ، (1977) ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

6) سليم ، طارق عبد الوهاب ، (ب.ت) ، المدخل في علم العقاب الحديث ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

7) قانون العقوبات المصري .

8) Putwain, D., and Sammons, A., (2002), Psychology and crime, Routledge Taylor and Francis Group, London .

9) Strange, J.R., (1965), Abnormal Psychology Understanding behaviour disorders, McGraw-Hill Book, Company, New York .